

جذور وأصول الفكر الإيقاعي (11)

مقتطفات من نقد كتابي:

”قراءات في نجيب محفوظ“ (5)

طبيعة الوجود ووعي الحلم

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD250617.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2017/06/25
السنة العاشرة - العدد: 3585



مقدمة

ما زلنا مع نجيب، وأنا أقرأ ما كتبته ناقدا بعض أعماله منذ أكثر من ربع قرن فأجد كل أو - قل أغلب - ما سجلته في ملف الأحلام في نشرات الإنسان والتطور اليومية وقبل ذلك في أطروحتي عن "الإيقاع الحيوي ونبض الإبداع" (1) "في نصوص نقدي لمحفوظ، كأني فرضت علي علمي ما وصلني من وعي المبدعين، ثم وجدته في وعي مرضاي ونفسي.

تعالوا نرى هذا السبق في النقلة في مسألة الحلم ومن شاء أن يقارنه بملف الأحلام البالغ (228) صفحة من) نشرة 2012-12-23 (إلى) نشرة 2015-9-23 (فليفعل مشكورا.

سوف أورد اليوم النص النقدي أساسا مع مقتطفات من الأصل الروائي دون تعقيب تقريبا. وبعد: نبدأ في الاقتطاف من نقد المجموعة.

...الوجود والحلم

الحلم ليس وجودا سلبيا، أو هو ليس نفيًا للوجود، ولكنه وجود آخر، وجود مناوب، والإنسان ليس هو ما يعي، وإنما هو ما يتكامل بتوليفه من مستويات الوعي: بعضها في مركز وعي اليقظة، وبعضها على هوامش وعي اليقظة، وبعضها "وعي" الحلم، وبعضها وعي النوم! (بلا حلم)، وغير ذلك مما لا مجال لتفصيله هنا .

ولهذه المقدمة المختصرة أهمية فائقة للنظر إلى إبداع أحلام نجيب محفوظ (2) سواء ما وردت تحت عنوان "حلم"، أو ما اقتحم بها وعي اليقظة دون إشارة محددة إلى طبيعتها الأخرى. هذا، ولا يمكن تصنيف هذه المجموعة، حتى القصة الأخيرة منها تحت ما يسمى "أدب الحلم".

أولاً: لأن أدب الحلم لم تتحدد معالمه نهائياً..

وثانياً: لأن هناك تداخل حقيقي بين ما يسمى "أدب الحلم"، وأدب "تيار الوعي" أو حتى "تيار اللاوعي"، ولعل تجربة محفوظ في هذا العمل، ومن قبل في ليالي ألف ليلة هي محاولة للتزاوج (3) بين أدب الأسطورة وأدب "الوعي الآخر"، أو دعنا نتقدم لنسميه أدب "تعدد مستويات الوعي".

ونجيب محفوظ يعلمنا من خلال حدسه الفني وقدرته الروائية مع بعض ما سبقت الإشارة إليه من أن الحلم هو وجود كامل في ذاته، قائم بذاته، وهو وجود غير رمزي بالضرورة، بل هو -أيضاً- رؤية ورؤى عيانية مباشرة، ودلالة عنوان المجموعة "رأيت... الخ" تؤكد ذلك، والنوم هنا هو اليقظة الأخرى، والتداخل المتبادل يتضح مباشرة في "العين والساعة" حيث جاء بالنص:

"ومع أن الموقف كله تسربل بغشاء منسوج من الأحلام، غير أنه هيمن على بقوة طاغية (4)، فامتأ القلب بأشواق التطلع والانتظار وآلامها الجامعة بين الترقب والعذوبة. ويؤكد أنه لم يكن نائمًا! إذ يردف فوراً: "ولم أتم الليلة ساعة واحدة" ولكنه يعود فيؤكد حالة الخيال وحرية تجواله:

الحلم ليس وجوداً سلبياً، أو هو ليس نفيًا للوجود، ولكنه وجود آخر، وجود مناوب

الإنسان ليس هو ما يعي، وإنما هو ما يتكامل بتوليفه من مستويات الوعي: بعضها في مركز وعي اليقظة، وبعضها على هوامش وعي اليقظة، وبعضها "وعي" الحلم، وبعضها وعي النوم! (بلا حلم).

هناك تداخل حقيقي بين ما يسمى "أدب الحلم"، وأدب "تيار الوعي" أو حتى "تيار اللاوعي"

تجربة محفوظ في هذا العمل، ومن قبل في ليالي ألف ليلة

”وظل خيالي يجوب أرجاء الزمان الشامل للماضى والحاضر والمستقبل معا ثملا بخمر الحرية المطلقة“ (ص113)

النتائج الطبيعية هنا لإطلاق مستويات الوعي معا هو حرية تمازج المحتوى فى لعب وحضور وتقل سهل خطر فى آن :وعلى ذلك نمسك بمفردات المجموعة من الأول:

ونحن نرى تداخل المستويات كل من قصة ”العين والساعة“ وفى ”من فضلك واحسانك“ وفى ”الليلة المباركة“ حتى ”رأيت فيما يرى النائم“، ولكننا قد نواجه الفصل القاطع بين مستوى وآخر مثلما فى ”أهل الهوى“ حيث يظل الماضى محظورا تحت وطأة تاريخ إرهاب ذئاب القبول.

وهنا يجدر بنا أن نخرج إلى استطراد واجب: وهو توظيف محفوظ للحلم، والجنون، والسكر، والمخدرات، لتفكيك التركيب البشرى شبه الواحدى إلى مكوناته المتعددة، فهو إذ يطلق سراح التعدد لا يترك الأمر فوضى بلا دلالة، بل يؤلف بين المستويات والمحتويات بشكل سلس وقادر، ويضيف بحدسه الى ما يجدر ”بالعلم“ أن يضعه جادا فى الاعتبار:

التعقيب (2017)

الاحظ هنا تعبير الناقد (أنا) وهو يقول: إلى ما يجدر للعلم أن يضعه فى الاعتبار، وآمل أن أكون قد وضعتة فى الاعتبار، ولو لاحقا.
(ثم نكمل كلام الناقد أصلا)

.....ومثال ذلك تصويره لعالم العفاريت بأنها ”وجود“ يحل بنقل حقيقى، يكاد من دقة تصويره له أن نحس به تقلا ماديا ملموسا، وبذلك لا يعود العفريت هو ذلك الانشقاق المغترب الذى يأتى من بعيد، أو ذلك الرمز المجهول من عالم آخر، وإنما هو (العفريت ”برجوان“ مثلا) ”وجود جديد، ثمرة للرجبة الحارة المستميتة، كحضور ذى وزن ملاً فراغ الخلوثة بثقله غير المرئى“ (ص20) أهل الهوى.

التعقيب (2017)

هذه التعبيرات كلها تؤكد ما ذهبُ إليه لاحقا من أن ما يحدث فى الحلم هو حركية وعى عيانية، حركة فى عالم واقع داخلى متكامل فى ذاته، وليس مجرد حضور ”بالنيابة“ ولا رمز لغيره.
(نكمل)

وفى نفس الوقت فهو يعلن طبيعة مثل هذا الوجود المتجسد إذ هى من تراكيب الداخل أساسا ”وشع نور فى الباطن فتجسد فى مثال“ (ص110) العين والساعة.

التعقيب (2017)

ويرتبط هذا مع ما ذهب إليه ”سيلفانو أريتي“ حين وصف ظاهرة ”تعيين المجرّد Active “ Concretization كنوع من تفسير الهالوس عند الفصامين خاصة. و محفوظ بذلك يتقدم خطوة تنويرية ليواجه مشكلة اغترابية طالما شقت الإنسان وأسقطت سائر مركباته إلى خارجه، فما الجان أو العفريت أو الخيال إلا ”حضور“ مقتحم، أو ”حضور“ بديل، أو حضور مجسد، أثناء حركية وعى الحلم وتعتته تراكيب الداخل إذ تنطلق من إيسار واحدية تفككت حتى الهشاشة.

(ثم نكمل النقْد)

.....وفى ”الليلة المباركة“ تبدأ القصة بإعلان الخمار عن حلمه، ”بأن هدية ستسدى الى صاحب الحظ السعيد“ (ص125)، يعلنها فى جو لا يعرف التحاور باللفظ العام والكلام المألوف، وإنما يمارس التاجى ”فى الباطن“ والتحاور ”بالنظرات“، وتمضى القصة كلها فى نقلات سريعة أقرب إلى الصور منها إلى السرد اللفظى أو التسلسل المنطقى، وهى لغة الحلم الغالبة حيث الحلم صور وحضور عيانية متلاحق ومكثف، قبل أن يكون رمزا ودلالة، ويتضح ذلك بشكل مباشر ومكرر فى سلسلة ”رأيت فيما

هى محاولة للتزاوج (3) بين أدب الأسطورة وأدب ”الوعي الآخر، أو دعونا نتقدم لنسميه أدب ”تعدد مستويات الوعي“.

أن العلم هو وجود كامل فى ذاته، قائم بذاته، وهو وجود غير رمزي بالضرورة، بل هو- أيضا- رؤية ورؤى عيانية مباشرة

ظل خيالى يجوب أرجاء الزمان الشامل للماضى والحاضر والمستقبل معا ثملا بخمر الحرية المطلقة

النتائج الطبيعية هنا لإطلاق مستويات الوعي معا هو حرية تمازج المحتوى فى لعب وحضور وتقل سهل خطر فى آن

توظيفه محفوظ للحلم، والجنون، والسكر، والمخدرات، لتفكيك التركيب البشرى شبه الواحدى إلى مكوناته

التعقيب (2017)

الصورة في الحلم وفي الإبداع التشكيلي (الشعر وفن الرسم التشكيلي خاصة) هي الأصل، وهي ليست رمزا لغيرها، وإنما هي تحضر بما هي ثم يؤلف منها المبدع ما شاء، كيف شاء.

.....[خلاصة القول]: يمن النقد الأصلي]

إن حدس نجيب محفوظ قد استطاع بشكل فائق أن يقتحم التركيب البشري بنشاطه المتناوب وإسقاطاته المجسمة، وأن ينسج من هذا وذاك رؤية قصصية لها وظيفتها التحريكية الكشفية: قبل وبعد محتواها الدلالي والرمزي، وهو في هذا يواكب ويسبق المنظور التركيبي للذات البشرية، ويتجاوز المفهوم الدينامي التقليدي، كما يتجاوز أيضا -دون تخط أو تعسف- التركيز على المحتوى الرمزي لطبقات الشعور، وإن كان نجيب محفوظ قد يذهب في بعض أعماله إلى المبالغة في الرمزية لأسباب محلية ومرحلية تتعلق بحرية الفكر في مرحلة تطورنا الحالي، فإن استعماله للرمز في هذه المجموعة كان له طابعه الخاص، وتوظيفه الجديد.

وبعد

وغداً سوف نواصل ونحن نرى كيف يستعمل نجيب محفوظ الترميز بتردد ودون أية مبالغة، وقد سبق أن أخذت عليه كثيرا من ذلك حتى في أولاد حارتنا، برغم أن الشخوص فيها لم تكن رموزا بحتة، وإنما كانت تمثيلا وتجسيدا.
للأسف

- [1] يحيى الرخاوي، "الإيقاع الحيوي ونبض الإبداع" مجلة فصول - المجلد الخامس - العدد الثاني - 1985

- [2] يحيى الرخاوي، "عن طبيعة الحلم والإبداع" دراسة نقدية في: "أحلام فترة النقاهاة" نجيب محفوظ) دار الشروق 2011

- [3] يمكن أن نتبع هذا التزاوج في أعمال سابقة من أول أولاد حارتنا وحكاية بلا بداية ولا نهاية، وحرارة العشاق إلى مجموعة قصصه الصغيرة بعد 67 خاصة مثل خمارة القط الأسود وتحت المظلة وشهر العسل رافضين في نفس الوقت التسمية الأسوأ باسم 'أدب اللامعقول!!'

- [4] يقابل ذلك مثلا في ليالي ألف ليلة: إن يكن حلما فما له يمتلئ به أكثر من اليقظة نفسها ص (16) أنظر بعد في نفس المرجع الحالي.

*** **

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقياً بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsfound.com>

اشترائكم المنتجات في إصدارات الشبكة

http://www.arabpsfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3

خدمات الإعلان بالمتجر الإلكتروني

http://www.arabpsfound.com/index.php?id_category=39&controller=category&id_lang=3

أن ما يحدث في الحلم هو
حركية وعى عيانية، حركة
في عالم واقع داخلي
متكامل في ذاته، وليس
مجرد حضور "بالنباية" ولا
رمز لغيره

إن حدس نجيب محفوظ قد
استطاع بشكل فائق أن يقتحم
التركيب البشري بنشاطه
المتناوب وإسقاطاته المجسمة،
وأن ينسج من هذا وذاك
رؤية قصصية لها وظيفتها
التحريكية الكشفية: قبل وبعد
محتواها الدلالي والرمزي

إصدار الكتاب السنوي الرابع:
"ش.ع.ن: إنجازات أربعة عشرة عاماً من الكدح"
(شامل كامل الانجازات)

بمناسبة:

- الذكرى الرابعة عشرة لاطلاق الموقع العلمي "شبكة العلوم النفسية العربية"

- اختتام "الاسبوع السنوي الثاني لاصدارات "ش.ع.ن" في علوم وطب النفس" من 13 الى 20 جوان 2017



تحميل الكتاب السنوي الرابع (كامل الانجازات)

- التحميل من موقع " شبكة العلوم النفسية العربية"

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet14Years.pdf>

- التحميل من موقع المتجر الإلكتروني لـ " مؤسسة العلوم النفسية العربية"

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=296&controller=product&id_lang=3



شبكة علوم النفس العربية

نحو لياقة نفسانية أفضل

مؤسسة العلوم النفسية العربية
معاً ... نذهب أبعد

مركز باصااير للبحوث والدراسات النفسية
وفي تفكيركم آفة تبحرون